على الفقير بفتات مائدته وفقير يقترح على الدهر حتى بلغة الموت فلا يظفر بأمنيته وملك لا يفرق بين رعيته وماشيته، ومملوك لا يميز بين ملك الملك وربوبيته ونفوس تتغالى قتلاً على لون حائل، وظل زائل، وغرض سافل، وعيش باطل وعقول تتهالك وجداً على نار تحرقها، وأنياب تمزقها وعيون حائرة في رؤوس طائرة تنظر ولا ترى شيئاً مما حولها، وتسمع ولا تكاد تبصر ما تحتها.

هكذا رأينا المنفلوطي يرمي هذا العالم بنظرات كلها شؤم كما هو شأن جماعة المتشائمين في عامة شؤونهم وأطوارهم وأحوالهم. ولولا أنه لا يقول إلا ما يعتقده ولا يعتقد إلا ما يسمع صداه من جوانب نفسه لقلنا أنها خاطرات شاعر وجدت لها من سماء مخيلته مطلقاً ثم ما لبثت أن أدركها الغروب. أم وأن هذا الكلام هو صورة من صور نفسه فلا جرم أنها حالة نفسية كثيراً ما تعرو من يميلون إلى التجرد عن المادة ويرون في سكوت الموت وظلمته حياة مفعمة بالحركة والنور والرغد والسرور.

دمشق:

صلاح الدين القاسمي.

إلى العرب

يا معشر العرب الكرام تحية ... شغف النسيم بها فبات عليلا

رقت فلولا الشعر يحيا ذوبها ... وجدت لها بين السطور مسيلا

من شاعر لولا هواه يقومه ... ما كان يرضى اليراع خليلا

باتوا ينوموني وبات القلب عن ... لوم الوشاة بجنبهم مشغولا

زادوا ولوعاً بالملام وأسرفوا ... فيه فزدت ثغورهم تقبيلا

حنت الثغور بذكر من أحببتهم ... فرشفت من برد اللمى معسولا
إني لأهفو إن أردت حديثهم ... حتى أنك قد أدرت شمولا
ماذا علي إذا عددت هواهم ... ديناً وغيري عده تضليلا
والناس مختلفون في أهوائهم ... متباينون مشاربًا وميولاً
ولرب محسوس ترى آثارهم ... ليس على كل النفوس شكولا
سجع الحمائم يستفز أخو الهوى ... طرباً ويحسبه الحزين عويلا

* * *

قومي وأنتم خير من فوق الثرى ... واجنهم يوم الفخار أصولا
ردوا على الشرق القديم شبابه ... فالأمر بات لعزمكم موكولا
شخصت لواحظه إليكم يبتغي ... نيل الرجاء فحققوا المأمولا
وانضوا العزائم للرقي وحبكم ... يوم الطلاب تواكلاً وخمولا
لا تيأسوا فاليأس كم جرّ الردى ... وغدا على صغر النفوس دليلا
وأخو العلى من لا يزال طلابه ... أبداً بأسباب الرجى موصولا
فالروض يزهو بالنضارة بعدما ... هكته عادية الهجير ذبولا
وإذا المنى امتنعت وعز منالها ... كان الثبات بنيلهن كفيلا

* * *

فامشوا إلى كبد العلاء بهمة ... تذر الجبال الشامخات سهولا
وتقحموا الغمرات واصطبروا لها ... فالمرء أن يجبن يعش مرذولا
المجد مطلبه الشديد فأخلقوا ... عزماً يذلل صعبه تذليلاً

* * *

واستشهدوا التاريخ أصدق منبئ ... بالغابرات من العصور الأولى
أيام تبتدر الجياد شوازباً ... يضربن عرضاً في البلاد وطولا
يحمين أبطال الجزيرة طعناً ... كالأسد أبرحها الحفاظ الغيلا
من كان أروع مثلما تهوى العلا ... كالسيف عضب الشفرتين صقيلا
تلقاه يؤثر إن يموت مكرماً ... عن أن يمتع بالحياة ذليلاً
فتحوا البلاد وغادرت أسيافهم ... في كل أرض ونة وصئيلاً
بيض إذا انتضيت ليوم كريهة ... وردت ظباهن الدم المطولا
كتبوا بها في الدهر آية سؤدد ... لا تقبل التحريف والتأويلا

* * *

ذودوا عن اللغة التي وردت بها ... آي الكتاب ونزلت تنزيلا
هي روح نهضتكم ومعقد مجدكم ... فتعهدوها بكرة وأصيلا
وحياتكم يا قوم احفظوا بها ... أو ترتضون عن الحياة بديلاً

* * *

لا تحسبوا الدستور يسعدكم إذا ... لم تسنكوه لنرقي سبلاً
وإذا الصبح بدا ولم نجف الكرى ... لم يجدنا فلق الصباح فتيلا
فاسترشدوا بالعلم وانصرفوا له ... وتدارسوا المعقول والمنقولا
وابنوا المدارس في البلاد كأنها ... زهر تزيح من الظلام سدولا
وهي الكفيلة حين يعسر ربعها ... إنا ننال من الزمان السولا

تكاتفوا في السعي لا تتخاذلوا ... فيبيت ممردة الصروح طلولا
وتعهدوا الأخلاق فهي إذا التوت ... تركت ممردة الصروح طلولا
ما كان تحرير الرقاب بنافع ... إن لم نحرر أنفساً وعقولاً

دمشق: جرجي الحداد.

الكتابة والكتب ودورها

أفرأيتم المصريين الأقدمين وقد تركوا لنا كتبهم منقوشة على صفحات الجبال وفي بطون المغارات وعلى أحجار البرابي والأهرام والمسلات؟

أم هل أتاكم حديث الآشوريين؟ فقد اكتشف النقابون في هذه الأيام مصافحهم مرقومة على اللبن، وهو الطوب المشوي أو المطبوخ. وذلك لأن أرض ما بين النهرين مكونة من طيني جبلة والفرات وليس فيها جبل ولا حجر. ولكن ذلك لم يقف عثرة في سبيل الغرام بالكتب. فصاروا يرقمون بالمسمار على الطين وهو ليّن ثم يطبخونه في النار، استباقاً لكتابتهم على مر الأدهار والأعصار.

ثم انتشر هذا الغرام في مصر وعم ومط، فاحتاج القوم لزيادة الكتابة، وأسوا بما في النقش على الأحجار من صعوبة، فعادوا إلى الطبيعة، وهي الهادي الأكبر إلى البشر، أخذوا البردي وعالجوه بما جعله صالحاً للكتابة، وها هي آثاره في دار العاديات المصرية بقصر النيل في القاهرة، وأكثرها في متاحف أوربا. وأما الصين والهند، فقد كفتهم دودة القز هذه المئونة، في القيام بما يدعون إليه الولوع بالكتب والكتابة. وإذا نظرت إلى بني الأصفر وأعني بهم اليونان والرومان تجدهم قد استعانوا بالحيوان، فعالجوا الجلود وصنعوا منه ما نسميه بالرقوق.